جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم الجغرافية- الدراسات الاولية

عنوان المحاضرة

طبيعة المعرفة الجغرافية

المرحلة: الرابعة

مادة: الفكر الجغرافي

مدرس المادة: م.د. حسين علاوي محمد

2024

طبيعة المعرفة الجغرافية

من جملة الاسئلة التي تتبادر الى ذهن الطالب بالحاح السؤال عن ماهية الجغرافية ؟ السوال الذي طالما تطرق اليه البحث منذ القدم وخاصة على ايدي العراقيين والمصريين الاوئل ثم على عهد بطليموس وقد حظي باجوبة عدة القليل منها الذي يفي بالموضوع ام البقية الاخرى فيبدو انها تزيد الموضوع غموضا على غموض بدلا من توضيحه وازالة اللبس عنه . لكنه يجد صعوبة في تحديد مفهوم الجغرافية . ان لم تقل تخصصاتها المختلفة . وعلى العموم يحمل عامة الناس فكرة بسيطة عن الجغرافية ماهي الا خلاصة وافية لمعلومات عن العالم مطروحة بشكل حقائق علمية سهلة الفهم عن المكان والمساحة والحدود والاقتصاد ... الخ للاقطار المختلفة.

وعلى هذا الاساس فان المعرفة الجغرافية ليست باكثر من محتويات لمعجم جغرافية بسيط . وغالبا مايدخل هذا السوال في نقاشات من هم في مستوى مرموق من المعرفة فيما اذا كانت الجغرافية علما او فنا وهل هي تندرج تحت لواء العلوم الانسانية او العلوم او كليهما معا

ويلاحظ من هذا ان هناك اختلافا في طبيعة المعرفة الجغرافية فبعض الجغرافيين يرون انه من الافضل المثابرة على كتابة البحوث الجغرافية والتوغل فيها بدلا من تبديد ساعات في نقاش لاطائل تحته عن طبيعتها .ومع ذلك فانه يبدو من دواعي الشك ان يقوم الجغرافيون بانتاج عمل جديد وهم في نفس الوقت يدركون (او لايدركون)السبيل او الكيفية التي يتشابه بها عملهم (او يختلف)مع الاخرين العاملين في مجالات اخرى وعليه فيبدو لزاما علينا توضيح ما طرحناه سابقا هناك العديد من الكتب التي تنقب في تاريخ الجغرافية فيما لو ارادت معالجة طبيعة (الجغرافية) فمنها من يرجع عصورا الى الوراء .. الى الاغريق والى احياء التراث الجغرافي العربي المتالق في العصور الوسطى ومنها ما يكتفي بكتاب برنارد فارينوس المعنون (الجغرافية العامة) الذي ظهر في بداية عصر النهضة (1650 سنة) باعتبارها بداية جدية وحديثة للمفهوم العام لطبيعة المعرفة الجغرافية

وقد تهتم الجغرافية وما كتب فيها في اواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر حيث عاش الجغرافيان الكسندر فون همبولت وكارل ريتر اللذان يعتبران مؤسسي الجغرافية الحديثة.

ومن المعروف حقا انه من اجل ادراك وتفهم هذه المعرفة وبوجهتها الصحيحة الاجدر دراسة تطور علم الجغرافية وكيفية تغير محتواه وطرق عرضه مر الزمن وهذا ما سنهتم به ضمن هذا

الكتاب المنهجي . وعليه ينظر للجغرافية على انها تطورت من قائمة حقائق عن سطح الارض الى وصف معقول لتاثير العوامل الطبيعية في مختلف الانشطة البشرية الى علم للعلاقات والارتباطات المكانية اي دراسة العلاقات بين التوزيعات المتاينة على سطح الكرة الارضية.

ان مثل هذا الحديث لن يخدمنا في تفهم طبيعية الجغرافية على النحو الذي يتطلبه موضوع البحث وهو مانوع المعرفة الجغرافية ..؟فاذا لم تعد الجغرافية قائمة من الحقائق (الجغرافية؟)ولم تعد دراسة العوامل الطبيعية المؤثرة في الانشطة البشرية .فان معرفة هذه الامور لن تساعدنا لاكتشاف مفهوم الجغرافية اوماهيتها كموضوع للدراسة وهذا هو البوابة الاولى التي تاخذها بعين الاعتبار ليتعرف على ماهية الجغرافية وعلى المرء ان يركز النظر محللا نوع معرفة التي يتضمنها الموضوع في الوقت الحاضر .فالموضوع يحتم ان ينظر اليه من وجهة معرفية (اي من ناحية المعرفة كعلم)وهذا هو المهم

اما الجانب الثاني فيقدمه لنا الكتاب الذين يعالجون غرض الجغرافية فان هولاء المؤلفين والكتاب لا يهمهم ما يعمله الجغرافيون الان بقدر ما تنصب كتاباتهم فيما ينبغي للجغرافي ان يفعله وكانهم يعرفون طبيعة الموضوع لاول مرة وكانه لم يطرق من قبل غيرهم.. فهم يضعون امامنا نموذجا معينا ينبغي للموضوع في رايهم طبعا. ان يسير باتجاهه ويتطابق معه لانهم يعتقدون ان للجغرافية دورا خالصا اول وظيفة مميزة في اطار المعرفة وختطها ويشعرون ان اي موضوع لايتطابق مع ذلك الدور او ينطوي تحت تلك الوظيفة فالموضوع برمته ليس من الجغرافية قط لذلك يسال الجغرافي(لابورد)ماهي وظيفة الجغرافي الحقيقة او ماهو عمله الحقيقي ؟ وعلى سبيل المثال كتب المؤلفان (ولدرج) وزميله (ايست) في كتابهما (روح الجغرافية وهدفها)

.

"ان الجغرافية تكشف دورها المتميز فقط في اقامة العلائق بين الظواهر الطبيعية والبشرية وتسد الثغرات فيما بينها"

ويستمران في قولهما ان اي فصل اوانقسام بين الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية انما هو موجة ضد هدف الجغرافية المركزي .انه شيء جيد في وقت الحاضر ان يؤمن جغرافيون عديدون بان الجغرافية اجدر ان تكون موضوعا يلغي الثغرات بين الظواهر الطبيعية والبشرية ؟. لكن زعمهم ما ينبغي ان تكون عليه الجغرافية وما ينبغي لها ان تفعله هو في الحقيقة ليس مشابها او مساويا لوصفها ماهو كائن فعلا.هذا اذا كان المفروض عمله يختلف عما تفعله الان الجغرافية

حقيقة .انه شيء صحيح وصائب مايتم تقريره اليوم يتم تطبيقه غدا كما ان صحيح ايضا مايقرر

اليوم قدلا يرى النور ابدا وفيه مثال على ذلك هو المثال الذي ورد في كتاب ولدرج وايست عن تقرير الجغرافية كما ان هناك امثلة اخرى في كتابات جغرافين سابقين امثال فيدال لابلاش وماكندر فانه من الصعب محاججة اغلب الجغرافيين (الذين يشتغلون اطروحاتهم)انهم منكبون على اقامة الجسور بين الظواهر الطبيعية منهاوالبشرية ونظرة واحدة لمحتويات ماجاء في بكلا جانبي الجغرافية الطبيعية منها والبشرية. ونظرة واحدة لمحتويات ماجاء في "محاضر جلسات معهدالجغرافيين البريطانيين او ماجاء في سجلات رابطة الجغرافين الامريكين"كافية لان تبدو مثل هذه الفكرة وبشكل عام فان الاستغراق في ماينبغي للجغرافية عمله انما هو مساهمة جادة في طريقة تطوير الموضوع.

الجغرافية وعلاقتها بحقول المعرفه

ان الابحاث التي اجريت بخصوص طبيعه المعرفه التي تتضمنها الموضوعات المختلفة طرحت افكارا جديده ساعدت العاملين الجغرافيين خاصة المدرسين منهم على ادراك مكانه موضوعهم في مجال المعرفه ككل

كان الجغرافي يعتنق موقفا فلسفيا وينظر الى الجغرافيه ذات النظرة التي يحددها الفلاسفة ويقبلونها اما الان فان اراء الفلاسفة بشان الموضوع ذاته جديرة بالاطلاع عليها فقط (لا الاخذ بها) كما انه منذ امد قصير عندما صار الفلاسفة التربويون يهتمون بنظرية المعرفه لعلاقتها بموضوعات المنهج التقليدي ولقد اسندت ارائهم الفكرة القائلة ان المعرفه لاتقبل التجزئة او ان الفوارق بين الموضوعات هي فوارق غير منطقية بل عشوائيه وهذا ماناادى به (هيرست) ودعا اليه رغم انها بسطت القضايا هذه دون شك الا انها من ناحيه اخرى فسرتها بكل وضوح ولايمكن باي حال تجاهلها لقد قال بان المعرفه هي الطريق والسبيل الذي تنتظم بواسطته خبراتنا الواقعيه من اجل الاتصال والاخذ ولعطاء لهذه المعرفه فاننا نستخدم نظاما من الرموز (عموما اللغه) الذي يتصف بجماهيرته وشعبيته بمعنى ان للرموز المستخدمة معاني مشاعه تمتلك او تحضى بتداول كبير يبعدها عن التجربه الفرديه الخاصة كالكلمات الشمال الجنوب الشرق الغرب هي رموز مفهومة تشير الى االاتجاهات المختلفة والتي يفهمها ويقبلها من هو في المنطقة الجنوبية من الارض عندما تتجه الشمس مثلا وقت الضهيرة ناحيه الشمال
وعلى هذا الاساس فأن (حقل المعرفه) يكون بمثابة بناء او هيكل مرن يتضمن عناصر مستمدة من اشكال مختلفة عديدة فمثلا انظمة علم النفس والاجتماع والتاريخ كلها تسهم مساهمة كبيرة في دراسة الحقل المعرفي الذي يتضمن كل العلوم كوحدة واحدة.

لواخذنا الفكرة القائلة ان المعرفة يمكن تقسيمها الى اشكال متميزة بكل شكل اختباراته ومميزاته اذ ينبغي لنا الموافقة على ان نسال تحت اي حقل من المعرفة تصنع الجغرافية وقد يكون الجواب ان الجغرافية لاتدخل ضمن اي شكل من تلك الاشياء ويبدو ان بعض الحقول في الجغرافية تصنف ضمن العلوم الطبيعية مثل علم المناخ وعلم اشكال الارض وبعضها يتدرج تحت التاريخ كل بحث جغرافي يعتمد على تقصي حقائق تاريخية مثل جغرافية العراق الموقع الجغرافي للعراق واثاره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي للدكتور ابراهيم شريف وبعضها الاخرينطوي تحت العلوم الاجتماعية تلك التي تتعلق بتحليل نماذج الاستيطان ووسائل الاتصال وبكلمة اخرى ان الجواب على السوال ان الجغرافية لا تتضمن نوع واحدا من المعرفة بل ثلاث ويمكن وصف الجغرافية حسب تحليل (هيرست) بانها حقل من حقول المعرفة تتضافر عدة اشكال معرفية لمعالجة مشكلات معينة لا يتوصل الى حلها بشكل واحد فقط وعلى سبيل المثال تخطيط المدن هومن هذا النوع مادام ينبغي على المخطط ان يعرف شئيا عن الخصائص الطبيعية للقطعة المرادة بل شئيا عن العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين المدينة وما يحاط بها او يجاورها من ارض او مدن اخرى. بل العلاقات التي تتحكم بالمدينة نفسها ولسوء الحظ لايمكن اعتبار كافة الكتب الجغرافية على انها متعددة الانظمة والاشكال لحل المشاكل بل هناك من الكتب مالا يسير على هذا النحو فبعض الكتب في الجغرافية التحليلية وضمن المواضيع التي عالجتها يمكن اعتباره علما اجتماعيا فحسب.

فالجغرافية التقليدية هي الاخرى للتشعب والتفرع والانفجار فقد ترجع الجغرافية الى المجرى الرئيسي لعلم الطبيعة في حين تواصل الجغرافية البشرية تطورها ضمن المجرى العام للعلم الاجتماعي.